زئيف جابوتنسكي

يهود الشرق

تعريف

ننقل هنا ترجمة لمقال كتبه زئيف جابوتنسكي (١٨٨٠– ١٩٤٠) مؤسس الحركة الصهيونية التصحيحية، والذي يعتبر أيضا الأب الروحي والسياسي لحركة «حيروت» اليمينية (حزب الليكود لاحقا) التي تزعمها مناحيم بيغن.

ويعرض جابوتنسكي في هذا المقال المقتضب الذي كتب ونشر للمرة الأولى باللغة العبرية في المجلة الفصلية «مزراح ومعراف (شرق وغرب)» في عدد آب – أيلول ١٩١٩، وجهة نظره في ما يراه بـ «السياسة المرغوبة» التي يجب إتباعها حيال مسألة هجرة واستيعاب اليهود الشرقيين ودورهم «الحيوي» في المشروع الصهيوني الكولونيالي في فلسطين، وفي إعادة احياء اللغة كلغة وحيدة وجامعة لسائر الطوائف اليهودية في نطاق المشروع الصهيوني ذاته.

****

لم يحن الوقت بعد لكتابة مقالات، لذا سأجيز لنفسي تسجيل وجهة نظري بشكل مقتضب حول السياسة المرغوبة، حسب رأيي، فيما يتعلق باليهود الشرقيين.

لعل أولئك الذين يعلمون بأنني ناديت بالتقارب المتبادل بين السفاراديم (اليهود الشرقيون) والأشكنان، سيشعرون بالدهشة والاستغراب، إذا ما قلت لهم بأنني لا أتطلع ولا أرغب في ذوبان داخلي، وايجاد نموذج يهودي مشترك، حتى ولو في المستقبل البعيد. ثمة أطياف مختلفة في كل أمة كبيرة، ولكل واحد من أجزائها مزايا

يمكن القول إنه توجد لدى الطائفة الاشكنازية ذاتها أطياف غير متشابهة، فهناك «الليطائي» (الليتواني)، اللاذع، الشكاك، والمواظب، وهناك الجنوبي الذي يتميز بالحيوية وعدم التعقيد، والذي يمتلك إلى حد ما «عقلية الغوي (الأغيار) » والخيال الخصب والبناء، والابتعاد عن السفسطة والجدل العقيم، وهناك «البولندي» الذي يشكل خلاصة للنموذجين السابقين في انفعالاته وعواطفه وروحانيته وأشجانه وحنينه الدائم، وهذه الصفات تشكل مصدرا لكل إلهام وطموح، ومن هنا أيضا، يبدو لي أنه لا حاجة إلى دمجها.

خاصة به وهذه ما ينبغي، وفق تصوري، العمل على تطويرها وتنميتها دون استثمار وصهر «الخاصية» أو «الميزة» الكامنة في كل شخص داخل بوتقة عامة. لا أود هنا التعمق في سيكولوجيا الطوائف اليهودية، غير أنني أرى وأشعر بأن ثمة مزايا في ريابة الشرقي لا وجود لها في بيانو الأشكنازي، والعكس صحيح. ربما هناك فرق بسيط في العرق، وفي تركيبة الدم، أو ربما لا يوجد هنا سبب آخر وإنما فقط أجيال من الانفصال المحلي والتاريخي، غير أن الأشكنازي خرج من الغيتو في الشمال مشحوذا بالعزم والهمة والإصرار أكثر من إخوته في بقية الجاليات والطوائف اليهودية، في الوقت الذي يتمتع فيه اليهودي الشرقي من سالونيك (مدينة في شمالي اليونان وعاصمة لمنطقة مقدونيا الوسطى ولإحدى مقاطعات هذا الأقليم والتي تحمل نفس اسم المدينة– المترجم) بكامل الصحة البدنية والنفسية والهدوء والطمأنينة الداخلية، والرؤية الصائبة والثاقبة، وهي مزايا يعوزها كثيرا (اليهود) أبناء روسيا او غاليتسيا الذين يتسمون بالتسرع والنزق والمبالغة دائما وباستمرار، ما نأمله ونرجوه هو أن يتشافى الاشكنازي، بمرور الوقت، من هذه العيوب والسلبيات، وأن يتخلص الشرقي أيضا من أمراضه. لكنني لا أرى أي قيمة في عملية اندماج مصطنعة، والتي ربما ستعاني منها، دون أي فائدة، هاتان التشكيلتان.

واكثر من ذلك، يمكن القول إنه توجد لدى الطائفة الاشكنازية ذاتها أطياف غير متشابهة، فهناك «الليطائي » (الليتواني)، اللاذع، الشكاك، والمواظب، وهناك الجنوبي الذي يتميز بالحيوية وعدم التعقيد، والذي يمتلك إلى حد ما «عقلية الغوي (الأغيار) » والخيال الخصب والبناء، والابتعاد عن السفسطة والجدل العقيم، وهناك «البولندي» الذي يشكل خلاصة للنموذجين السابقين في انفعالاته وعواطفه وروحانيته وأشجانه وحنينه الدائم، وهذه الصفات تشكل مصدرا لكل إلهام وطموح، ومن هنا أيضا، يبدو لي أنه لا حاجة إلى دمجها.على العكس، فمن الأفضل لنا أن يبقى كل واحد «على حاله» وأن يؤثر ويكمل أحدهما الآخر بصورة متبادلة. كذلك أيضا فإن (اليهودي) اليمني، الذي يمثل ظاهرة جديدة، لم يجر بحثها بعد، لكنها ظاهرة واعدة ولربما تكون الأكثر «إثارة «، ومن يعلم ربما الأكثر ثراء في مواهبها وكفاءاتها من سائر طوائفنا.

نعم، لغة واحدة لنا جميعا، وعلاقة إخاء ومساواة في كل شيء، واتحاد قومي، ولكن لا لدمج أو انصهار لا نعلم ما سينتج عنه، ربما شعب عبقري وربما عرق غبي.

ماذا تشبه الأمة؟ إنها تشبه فرقة موسيقية فيها للناي وظيفة خاصة، وللقيثارة وظيفة خاصة.

وعليه ينبغي الحذر من مغبة أن يأخذ بلدنا، بعد فتح أبوابه للهجرة الجماعية، طابعا أحادي اللون، اللون الاشكنازي. سيكون الأشكناز بطبيعة الحال، الأكثرية، ولكن من واجبنا العمل قدر المستطاع من أجل تعزيز وتنظيم هجرة يهود الشرق إلى بلدنا.

ينبغي للمؤسسة الصهيونية المنتظر تشكلها، والتي ستناط بها مهمة تنظيم الهجرة إلى البلاد، أن تضم دائرة مركزية خاصة تعنى بهجرة يهود الشرق، بالاضافة إلى مكاتب خاصة من أجل شتات (مهاجر) اسبانيا (سالونيك، إزمير، كوستا– ملقا وبلغاريا) واليمن

«وليس سرا أننا سنضطر، بعد فتح أبواب البلاد للهجرة، لخوض حرب ضارية من أجل حماية مكانة لغتنا، سواء في مواجهة لغات أجنبية أو لغة اليديش. وتستند قوة لغة اليديش في مهاجر الشمال (الأوروبي) على الإدعاء القائل بأنها «لغة مفهومة للجميع »، أو على الأقل أنها «اللغة الأم » العامة الحية لدى آبائنا، إن لم يكن لدينا نحن. لكن هذا الإدعاء لن يكون له أي مكان أو أساس في ضفتي نهر الأردن، طالما كان العنصر السفارادي واليمني قويا ومحسوسا وجليا في حياة بلدنا».

وسورية وإيران والقفقاس وبخارا وشمال افريقيا وما إلى ذلك.

وفضلا عن قيمته الخالدة، والبدهية، فإن لتزايد العنصر الشرقي في البلاد قيمة أخرى مؤقتة منقطعة النظير، إذا إن ازدياده وتكاثره سيساعد في تحقيق سيطرة أسرع للغة العبرية في بلدنا، على الرغم من أن معظمهم لم يجيدوا في البداية التحدث بالعبرية.

وليس سرا أننا سنضطر، بعد فتح أبواب البلاد للهجرة، لخوض حرب ضارية من أجل حماية مكانة لغتنا، سواء في مواجهة لغات أجنبية أو لغة اليديش. وتستند قوة لغة اليديش في مهاجر الشمال (الأوروبي) على الإدعاء القائل بأنها «لغة مفهومة للجميع»، أو على الأقل أنها «اللغة الأم » العامة الحية لدى آبائنا، إن لم يكن لدينا نحن. لكن هذا الإدعاء لن يكون له أي مكان أو أساس في ضفتي نهر الأردن، طالما كان العنصر السفارادي واليمني قويا ومحسوسا وجليا في حياة بلدنا. هذه الحقيقة يجب أن يدركها نشطاؤنا الذين بدأوا يعربون عن قلقهم على المستقبل القريب للغتنا. فخليط الألسنة، الطبيعي في حد ذاته، سنتغلب عليه بواسطة المدرسة خلال جيل واحد، والخطر لا يكمن في خليط الألسنة ذاته، وإنما في خليط الأيديولوجيا التي لا نمتلك وسيلة قوية لمواجهة تناميها في بلدنا، أفضل من إبراز العنصر السفارادي في كل مناحي حياتنا العامة. وإذا كان هذا العنصر غير متوفر بعد، فلا بد من العمل على خلقه وإيجاده..

ينبغي علينا إجتذاب اليهودي الشرقي إلى سائر مجالات نشاطنا وعملنا، وأن نضع قانونا لأنفسنا: لا مؤسسة بدون (يهودي) شرقي! وذلك كي يكون في كل مكان من يقف ويقول «فيتو »، إذا ما رفعت لغة أجنبية رأسها وادعت أنها « مفهومة للجميع » وأنها «اللغة الأم » للجميع.

إن هذه الحقيقة بشأن الدور الأبدي لليهودي الشرقي، في أن يكون أداة موسيقية مميزة في أوركسترا الأمة، ودوره المؤقت في حماية السيطرة المطلقة للغة الجامعة لكل طوائفنا، يجب أن يدركها في المقام الأول، اليهودي الشرقي ذاته. ينبغي له أن يدرك أن من واجبه أن يكافح من أجل مكانته وتأثيره في صفوف الجمهور العبري، وأن نضاله ومطالبته، كيهودي شرقي، بضمان مكانته الخاصة، لا ينطويان على أي انعزالية، بل على العكس، فهو بذلك يساعد في تطوير الأمة، وإنجاز تشكيلها وبنائها، وتكريس مضمونها الروحي.

غير أن ثمة أمرين يتعين على اليهودي الشرقي أن لا يغفلهما في معركته هذه، الأول : أن هذه المعركة هي معركة إخاء وليس معركة عداء، والثاني: أن السلاح الأول الأكثر لزوما وكفاية في أي معركة عامة هو التطوير والتأهيل الذاتيان قبل الهجرة، وحسنا أن لا يغفل الاشكنازي أيضا هذين القانونين.